دراسات ثقافية

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

المقاومة الثقافية
معركة الذاكرة والهوية الفلسطينية

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

سليم فهمي نقل
الرئيس التنفيذي ومدير وحدة الأبحاث
في شركة الجوهر للدراسات والأبحاث – الأردن

يوليو ٢٠٢٥

الملخص

تكشف هذه الدراسة كيف شكّلت الثقافة الفلسطينية، منذ بدايات الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، ساحة مركزية للصراع على الهوية، والوجود، والعدالة. وتُظهر كيف اعتمدت إسرائيل سياسات ممنهجة لنهب التراث، ومحوه، وتشويهه، في محاولة لطمس الحضور الفلسطيني التاريخي والمعاصر.

في المقابل، تجلّت الثقافة كسلاح مقاومة وصمود، متجذّر في الأرض، ومعادٍ للاستعمار، ومؤثّر في الوعي العالمي. وتبرز هذه الورقة تحوُّل الفعل الثقافي الفلسطيني من أداة للحفاظ على الهوية إلى قوة فاعلة في الصراع، ممتدة من جدران القرى المهجّرة إلى شاشات العالم الرقمي، ومن الأغاني الشعبية إلى حملات المقاطعة العالمية.

وبناءً على ذلك، تُسلّط هذه الورقة الضوء على ثنائية النهب والمقاومة الثقافية، باعتبارها جوهر الصراع على فلسطين.

١) ثقافة المقاومة في مواجهة المشروع الصهيوني

لقد أثّر الصراع الفلسطيني الإسرائيلي الممتد تأثيرًا كبيرًا في الهوية السياسية والاجتماعية والثقافية للشعب الفلسطيني. فمنذ بدايات المشروع الصهيوني في أواخر القرن التاسع عشر، لم يكن الاستهداف مقتصرًا على الأرض الفلسطينية فحسب، بل شمل أيضًا تفكيك هوية الشعب الفلسطيني ومحاولة طمس وجوده التاريخي والمعنوي حيث اعتمدت إسرائيل منذ نشأتها على أدوات متعددة من السطو، والإنكار، والاستئصال، لإنتاج رواية بديلة تنفي وجود الفلسطينيين، وتُعيد تشكيل ذاكرة الأرض والناس بما يخدم المشروع الاستيطاني. ونتج عن ذلك استهدافٌ واسعٌ للمعالم، والأسماء، والتقاليد، واللغة، والممارسات الفنية والاجتماعية.

> ومن هذا المنطلق، بات الصراع في فلسطين صراعًا على الذاكرة، والرموز، والتاريخ، بقدر ما هو صراع على الأرض والسيادة، في مواجهة آلة استعمارية تعمل منذ أكثر من مئة عام على التطهير العرقي والثقافي

أمام هذه السياسات الممنهجة للاقتلاع والطمس، صاغ الفلسطينيون ملحمة صمود غير مسبوقة، حاصدين ثقافتهم من رحم المعاناة لتحويلها إلى أحد أشكال المقاومة وأداة للحفاظ على الهوية، من الأدب إلى الفنون، من الموروث الشعبي والعادات إلى الرموز الوطنية.

تكشف فصول هذه الدراسة كيف حوّل الفلسطينيون نكباتهم إلى أدوات للبقاء، وكيف تعيد الحرب الحالية على غزة تأكيد دور المقاومة الثقافية كخط دفاع أخير عن الهوية الجمعية، ووسيلة للتعبئة العالمية ضد آلة الإبادة الإسرائيلية التي تواصل دكّ مقومات الحياة الفلسطينية

٢) السياق التاريخي: اختراع الخرافة وتدمير الواقع

أولا/ من (١٩٠٠ – ١٩٤٧)

يعد فهم السياق التاريخي أمراً جوهرياً لإدراك أسس المقاومة الثقافية الفلسطينية وأهميتها المستمرة. في مطلع القرن العشرين، وإلى جانب القادة السياسيين البارزين، لعبت شخصيات محورية مثل عيسى العيسى الصحفي ومؤسس صحيفة فلسطين (١٩١١)، ونجيب نصار المناصر الثقافي ومؤسس صحيفة الكرمل (١٩٠٨)، وخليل السكاكيني المربّي والأديب المؤثّر، والمؤرخ عارف العارف، أدوارًا حاسمة في إشعال فتيل المقاومة الفلسطينية ضد الأطماع الصهيونية والاستعمارية.

وقد كشف هؤلاء من خلال منشوراتهم ومواقفهم عن التهديدات المتزايدة للمشروع الصهيوني، فكانوا في طليعة المناضلين، وتصدّوا بأقلامهم وأنشطتهم لأحداث مفصلية مثل وعد بلفور عام ١٩١٧ الذي دعم إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، واتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦، ومؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠، اللذان رسّما تقاسم أراضي الدولة العثمانية، وأسّسا لاحقًا الانتداب البريطاني على فلسطين. وأثناء أحداث بارزة مثل زيارة بلفور عام ١٩٢٥ لافتتاح الجامعة العبرية، أصدرت بعض هذه الصحف عددًا بصفحات بيضاء أو سوداء بالكامل، في حين أُعلن الإضراب العام في مختلف أرجاء فلسطين.

ومع تصاعد التهديدات، شهد المجتمع الفلسطيني نشوء منظمات وحركات متعددة، وكان من أبرزها الجمعية الإسلامية–المسيحية (١٩١٨)، والتي انبثق عنها المؤتمر العربي الفلسطيني الأول (١٩١٩) ومؤتمر حيفا (١٩٢٠)، والتي أسست بدورها اللجنة التنفيذية العربية (١٩٢٠ – ١٩٣٤). وقد لعبت هذه التجمعات المدنية الفلسطينية دورًا فاعلًا في حشد المقاومة وتعزيز الهوية الوطنية. حيث نظّمت بشكل متتالي احتجاجات، وأصدرت بيانات، وقدّمت عرائض إلى السلطات البريطانية للمطالبة بوقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين منح الفلسطينيين حقوقهم السياسية والاستقلال الوطني

كما تحوّلت الأندية الثقافية، مثل المنتديات الأدبية في القدس ويافا وحيفا، إلى مراكز للنقاش الفكري والتخطيط الاستراتيجي، مع التركيز على صون التراث الفلسطيني والتصدي لمحاولات طمس الهوية الثقافية

ولعبت أحداث مفصلية مثل هبّة موسم النبي موسى عام ١٩٢٠ التي شهدت صدامات دينية وقومية بين الفلسطينيين والمهاجرين اليهود، وثورة البراق عام ١٩٢٩ التي فجّرتها التوترات حول استباحة اليهود لحرم المسجد الأقصى الشريف في القدس، والإضراب العام عام ١٩٣٦ الذي شكّل احتجاجًا واسع النطاق على سياسات الانتداب البريطاني والهجرة اليهودية، دورًا كبيرًا في تأجيج الرأي العام الفلسطيني، وتحويل المقاومة من حالة رد فعل إلى حركة شعبية مستدامة ذات طابع وطني شامل.

ثانيا/ من (١٩٤٨ – ١٩٨٦)

في أعقاب نكبة عام ١٩٤٨، التي أسفرت عن التهجير القسري لما يقارب ٧٥٠،٠٠٠ فلسطيني إلى الدول المجاورة، حرصت الجهود الشعبية خلال السنوات الأولى على صون التاريخ الفلسطيني من خلال الروايات الشفهية والحفاظ على العادات والتقاليد المتوارثة. فعلى الرغم من التهجير والتشظي وغياب القيادة السياسية الجامعة آنذاك، تحوّلت شهادات اللاجئين عن قراهم ومدنهم المدمّرة إلى سجل حيّ من الذاكرة الشفوية، يذكّر بحقهم غير القابل للتنازل في العودة، ويحفظ تراثهم من الاختفاء.

وشكّل لاحقاً تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ نقطة تحوّل مفصلية، إذ تم إدماج المقاومة الثقافية ضمن استراتيجية التحرير الوطني. وساهم الفلسطينيون في الشتات في دفع هذا التوجّه قُدمًا، عبر رموز أدبية مثل محمود درويش، وغسان كنفاني، وناجي العلي، الذين سخّروا الأدب والفن لتأطير التجربة الفلسطينية وتعزيز الوعي الجمعي والمقاومة الرمزية.

فأصبحت أعمال درويش الشعرية، وروايات كنفاني (مثل روايته عائد إلى حيفا)، ورسومات ناجي العلي الكاريكاتورية لشخصية حنظلة (الفتى الحافي ذو العشر سنوات والذي يدير ظهره)، أدوات فاعلة في ترسيخ السردية الفلسطينية، وتعميق الشعور بالانتماء والمظلومية التاريخية.

في أعقاب نكسة عام ١٩٦٧، أعادت الحركة الفنية الفلسطينية تشكيل نفسها كمنصة نضالية، حيث التقى فنانون من الضفة الغربية وقطاع غزة والأراضي المحتلة عام ١٩٤٨ لإحياء الثقافة والهوية الفلسطينية، ما أسفر عن تأسيس رابطة الفنانين الفلسطينيين، بقيادة فيرا تماري وسليمان منصور.

وفي السياق ذاته، أُنشئت مؤسسة السينما الفلسطينية عام ١٩٦٨ على يد هاني جوهرية وسلافة مرسال وآخرين، لتوثيق النكبات المتتالية عبر أعمال درامية وتسجيلية، رغم شح الإمكانيات، مما أسّس لمرحلة جديدة من المقاومة الثقافية الممنهجة.

> وفي عام ١٩٦٩، جاء تأسيس الاتحاد العام للفنانين الفلسطينيين ليعزز هذا المسار، حيث بدأت المعارض الجماعية للفنانين الفلسطينيين تجوب العواصم العربية والأجنبية، حاملة رسائل فنية مقاومة تعبّر عن معاناة الفلسطينيين وهويتهم الوطنية.

وقد برزت في هذه المعارض أعمال ليلى الشوّا المطبوعة بأسلوب السلك سكرين، والنقوش الرمزية لعبد الرحمن المزيّن، واللوحات التجريبية لعماد عبد الوهاب، التي شكّلت توجّهات ريادية ومبتكرة ضمن مسار الفن المقاوم.

ظل الفلسطينيون، داخل الوطن وفي الشتات، يرفدون المسيرة الوطنية بإنتاج ثقافي متجدد ومتنوع، جعل من الإبداع الفني والأدبي أداة مركزية في معركة التحرر وتعزيز الهوية.

ثالثًا/ من (١٩٨٧ – ٢٠٢٣)

فيما بعد، شكّلت الانتفاضة الأولى (١٩٨٧–١٩٩٣)، والانتفاضة الثانية (٢٠٠٠–٢٠٠٥) مرحلتان بارزتان في مسار المقاومة الفلسطينية، واتّسمتا بالزخم الشعبي والمواجهات المتصاعدة ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي. فتجلّت المقاومة الثقافية في الانتفاضة الأولى، بأشكال تعبير متعددة مثل الجداريات والكتابة على الجدران، والملصقات، والشعر، والمسرح، إلى جانب أغانٍ ثورية مؤثّرة قدّمها فنانون فلسطينيون وفرق فنية، مثل "العاشقون"، و"صابرين" و"بلدنا"، والذين أعادوا توظيف الألحان الفولكلورية الفلسطينية، بكلمات معاصرة تُجسّد الحدث وتُلهم الصمود. وقد كان لجامعة بيرزيت دور محوري آنذاك في احتضان عدد من هذه الفرق وإطلاقها نحو فضاءات العمل الثقافي المقاوم.

أمّا الانتفاضة الثانية، التي اندلعت عقب فشل مسار أوسلو عام ١٩٩٣ (اتفاقية السلام بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل)، فقد شهدت تطورًا ملحوظًا في توظيف الفنون البصرية

والسينما الوثائقية كأدوات نضالية. ومن أبرز هذه الأعمال فيلم "جنين، جنين" (٢٠٠٣) للمخرج محمد بكري، وفيلم "خمس كاميرات محطّمة" (٢٠١١) لعماد برناط، الذي بلغ المراحل النهائية من جوائز الأوسكار، وفيلم "٢٠٠ متر" (٢٠٢٠) لأمين نايفة، الذي يجسد معاناة الأُسر الفلسطينية بسباب الجدار العازل بالضفة الغربية. إضافةً إلى أعمال مسرحية مثل مسرحية الحصار (٢٠١٥) لمسرح الحرية الفلسطيني، والتي صوّرت واقع الحصار في كنيسة المهد بمدينة بيت لحم أثناء الانتفاضة الثانية.

ويستمر هذا المسار النضالي الثقافي حتى اليوم، بينما تتواصل الإبادة التي تطال قطاع غزة والضفة الغربية، ليُشكّل أحد أبرز أشكال المواجهة في وجه الاحتلال. إذ أسهمت هذه التعبيرات الثقافية المتنوعة في تعزيز السردية الفلسطينية على المستوى العالمي، وترسيخ الهوية الوطنية في الوعي الجمعي.

٣) النهب الإسرائيلي: جرائم إسرائيل ضد الوجود الثقافي الفلسطيني

أولا/ إسرائيل لا تسرق الأرض وحدها، بل تسرق التاريخ أيضًا وتحاول محوه

منذ بدايات التبشير الصهيوني، الذي قاده رجال دين مسيحيون إنجيليون، أولهم القس الإنكليزي ألكسندر كيث الذي أطلق عام ١٨٤٣م شعار "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"

> تكرّس خطاب يدّعي أن فلسطين أرض مهجورة تنتظر العودة اليهودية إلى ما يُسمّى بـ"الأرض الموعودة أو أرض الأجداد" من خلال مفهوم "علياه"، فتمّ ترويج خطاب توراتي أعاد تعريف الجغرافيا والذاكرة، مستندًا إلى رواية أيديولوجية موجّهة أكثر منها إلى حقائق تاريخية.

وقد تواطأت قوى استعمارية غربية، خصوصًا بريطانيا، وأمريكا في مرحلة لاحقة، في توفير الأرضية السياسية والتشريعية لهذا التزوير، كما تجلّى في وعد بلفور (١٩١٧) والانتداب البريطاني الذي تلاه. وشرعت الحركة الصهيونية في تنفيذ مشروع ممنهج نهبًا ثقافيًا واسع النطاق، وتزويرًا للوقائع والتاريخ، وتفكيكًا للهوية الفلسطينية، ممّا مهّد الطريق لعمليات الاستعمار والاستيلاء والتدمير المنظمة.

ورغم تفنيد هذه الادعاءات مرارًا من قبل العديد من الباحثين والمؤسسات الدولية مثل الأمم المتحدة، لا تزال أسطورة الأرض الخالية من السكان تشكّل مرجعية أيديولوجية للسياسات الإسرائيلية الرسمية حتى اليوم.

فمع مطلع الربع الأخير من القرن التاسع عشر، بدأت الهجرة اليهودية الممنهجة إلى فلسطين على شكل مجموعات صغيرة مدفوعة من قبل منظمات مثل أحباء صهيون والمنظمة الصهيونية العالمية، والوكالة اليهودية. تلاها إنشاء أول مستعمرة استيطانية عام ١٨٧٨ بتاح تكفا (باب الأمل)، على أراضي قرية ملبس الفلسطينية.

كان الوجود اليهودي في فلسطين محدوداً جداً قبل وخلال هذه الفترة، بينما شكل العرب المسلمون (٨٥٪) والمسيحيون (١٢٪) الغالبية العظمى من السكان. وحتى أواخر الحكم العثماني، لم تتجاوز نسبة اليهود ٣٪، رغم ازدياد الهجرات اليهودية لفلسطين، وكانوا يتركزون بشكل رئيسي في المدن المقدسة مثل القدس، والخليل، وطبريا. وقد

عاشوا كأقلية دينية متمتعة بالحماية القانونية، دون تعرّض لاضطهاد ممنهج كما حدث في أوروبا.

وتشير الوثائق العثمانية، ودراسات العديد من الباحثين الأجانب واليهود (مثل إيلان بابيه، بيرنارد لويس، أمنون كوهين، وغيرهم)، إلى أن العلاقات بين اليهود والعرب، من مسلمين ومسيحيين، كانت تتسم بدرجات كبيرة من التعايش والتعاون في المجالات الاجتماعية والاقتصادية. ولم تظهر النزاعات الدينية أو العرقية إلا مع بروز المشروع الصهيوني كحركة استعمارية ذات طابع سياسي، والذي تكرّس في المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل سنة ١٨٩٧.

وحتى ذلك الوقت، كانت المظاهر اليهودية، ولا سيما اللغة العبرية محصورة في الاستخدام الطقسي والديني. غير أن فترة الانتداب البريطاني (١٩٢٠–١٩٤٨) شهدت تحولًا كبيراً، مع تضاعف معدلات الهجرة اليهودية. إذ ارتفعت نسبة اليهود إلى نحو ٣١٪ بحلول عام ١٩٤٥ من إجمالي عدد السكان. وتزامن مع ازدياد أعداد اليهود في فلسطين، ظهور ملامح مشروع ثقافي موازٍ يسعى إلى إزاحة كل ما هو عربي وفلسطيني من المجال العام، وتثبيت وإحلال رموز وهوية بديلة تُلبس المشروع الاستعماري رداءً شرعيًا وتاريخيًا.

فبدأ تصاعد استخدام اللغة العبرية في الفضاء العام في لافتات الشوارع، والعملات، والمستندات الرسمية. وتحوّلت العبرية من لغة شعائرية إلى أداة استعمارية ضمن عملية منظّمة للتطهير الثقافي.

ثانيا/ النكبة لم تكن مجرد تهجير، بل كانت مشروعًا لإبادة الذاكرة

منذ عام ١٩٤٨، انتهجت إسرائيل سياسة محو الهوية الفلسطينية من خلال الاستيلاء، والتدمير، وإعادة تشكيل الرموز الثقافية والتاريخية، وذلك في إطار حملة أوسع تُعرف بـ" ميموريسايد" "إبادة الذاكرة"، أي الإلغاء المتعمّد للذاكرة الجمعية لشعب بأكمله. وشملت هذه الحملة تدميرًا ماديًا ومجازر في مئات القرى والبلدات، من بينها الطنطورة، والقسطل، ودير ياسين، وتهجيرًا قسريًا واسعًا. ومن ثم قامت قوات الاحتلال بإنشاء مستعمرات مكان هذه القرى والبلدات، وأعطيت أسماء عبرية.

كما تضمّنت نهبًا منظّمًا لعشرات الآلاف من القطع الثقافية الفلسطينية من كتب وأعمال فنية إلى سجلات تاريخية بهدف محو كل أثر لوجود الفلسطينيين. وامتدت هذه الاستراتيجية لتشمل الاستيلاء على الآثار القديمة، وإعادة صياغة الروايات التاريخية بشكل انتقائي ومحرّف، لتأكيد سردية "الوجود اليهودي المستمر". كما تم تهويد أسماء المدن، الشوارع، والفضاءات العامة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، باستخدام اللغة اليهودية الحديثة.

وتمثّل سياسة "عبرنة" أسماء المناطق الفلسطينية مشروعًا رسميًا بدأ عام ١٩٤٩ بتشكيل "لجنة التسمية الحكومية" الإسرائيلية، حيث تم تحويل أكثر من ٧,٠٠٠ اسم لمواقع فلسطينية، منها ٥,٠٠٠ موقع جغرافي، إلى أسماء عبرية، شملت قرى، مدن، أودية وهضاب. اعتمدت هذه اللجنة على مصادر توراتية أو أسماء مبتكرة تُشبه الأسماء العربية في اللفظ ، وتم إدماج هذه الأسماء في المناهج والخرائط واللافتات الرسمية. وترافقت هذه الإجراءات مع إدراجها في المناهج الدراسية الإسرائيلية، والخرائط الرسمية، واللوحات الإرشادية في الشوارع، لجعلها المرجعية الرسمية المهيمنة على المجال العام.

وما تزال هذه السياسات مستمرة حتى اليوم عبر الهدم المتواصل للمنازل ومصادرة الأراضي في الضفة الغربية والقدس، والقصف المتواصل لغزة، والذي طال المسارح، والمكتبات، والمتاحف، والمؤسسات الأكاديمية، وحتى المقابر والمعالم الدينية والتاريخية، ضمن مساعٍ مدروسة ومتصاعدة لطمس الهوية الفلسطينية ومحو تراثها الحضاري.

لم يقتصر الأمر على التدمير المادي، بل تجاوزته سياسات الاحتلال الإسرائيلي إلى ترويج واستنساخ رموز التراث الفلسطيني، وإعادة تقديمها كجزء من "التراث الإسرائيلي". فقد عمدت الدعاية الرسمية الإسرائيلية إلى الترويج المستمر في دول العالم الغربي لمكونات من المطبخ الفلسطيني والعربي الأصيل، مثل الحمص والفلافل والزعتر وغيرها، على أنها أطباق طعام إسرائيلية.

كما جُرّدت الأزياء التقليدية والموسيقى العربية الشعبية والفولكلور من السياق الثقافي الأصلي، وأُعيد تقديمها في المعارض الدولية والكتب المدرسية الإسرائيلية تحت هوية مغايرة، ضمن سياسة ترويجية تهدف إلى طمس الأصل وإعادة إنتاج هوية استعمارية هجينة، يحاكي زيفاً تاريخ المنطقة وهويتها العربية

وفي هذا الإطار، تُوظّف الدعاية الثقافية الموجّهة المعروفة بـ"الهسبراه" كأداة مركزية لتبرير وترويج السياسات الإسرائيلية. إذ تعمل بلا هوادة للتعتيم على جرائم الاحتلال تجاه الشعب الفلسطيني وتاريخه، وفي الوقت نفسه تُمارس عملية اقتلاع متدرّجة للرواية الفلسطينية، وللهوية والذاكرة الجمعية من الوعي العالمي

ثالثا/ استهداف الموروث الزراعي

وقد استهدفت إسرائيل كذلك القطاع الزراعي، وهو مكوّن مركزي في الثقافة والهوية الفلسطينية. فعلى مدار عقود، أصدرت قوات الاحتلال أوامر عسكرية عديدة بهدف عرقلة ومنع الوصول والقيام بأعمال الزراعة لمحاصيل فلسطينية مشهورة ومتوارثة مثل الملوخية، والهندباء البرية، والعكّوب، من بينها الأمران العسكريان رقم ١٠١٥ ورقم ١٠٣٩.

ومنذ عام ١٩٦٧، تم اقتلاع وتجفيف وإحراق أكثر من مليوني من شجرة زيتون في مناطق مختلفة من الضفة الغربية، حسب تقارير أممية وحقوقية. كما تمت السيطرة على

أكثر من ٨٠٪ من مصادر المياه في الضفة الغربية، وسرقتها وتحويلها للمستوطنات الإسرائيلية غير الشرعية، من خلال المئات من الأوامر العسكرية، منها ما لا يقل عن ٨٦ أمراً عسكريًا خلال الفترة من ٢٠١٩ – ٢٠٢٤ فقط.

لم يقتصر الأمر على التدمير المادي، بل تجاوزته سياسات الاحتلال الإسرائيلي إلى ترويج واستنساخ رموز التراث الفلسطيني، وإعادة تقديمها كجزء من "التراث الإسرائيلي".

> ويحصل الفلسطينيون اليوم على حصة أقل من الحد الأدنى الموصى به عالميا من المياه، وفق بيانات منظمة الصحة العالمية

ويُشكّل هذا التدمير المنظّم للمقدرات الزراعية وسرقة المياه شكلًا من أشكال الحرب البيئية المتعمّدة على التراث الفلسطيني، تستهدف قطع الصلة العميقة والمتجذرة بين الشعب الفلسطيني وأرضه، وحرمانه من حقوقه في مقومات الحياة والصمود

رابعا/ استهداف الثقافة والفكر والفنون

على الصعيد الفكري والثقافي، وسّعت إسرائيل نطاق قمعها لتشمل أشكالاً متنوعة من الترهيب ضد العديد من رموز الفكر والثقافة الفلسطينية. فقد وجّهت آلة القمع الإسرائيلية ضرباتها منذ عقود إلى مثقفين وناشطين بارزين مثل الناشط والكاتب (والسياسي لاحقاً) إميل الغوري (محاولة اغتيال في مطلع الخمسينات) الروائي والناشط السياسي غسان كنفاني (اغتيل في بيروت، ١٩٧٢)، الاديب والمترجم وائل زعيتر (اغتيل في روما، ١٩٧٢) والأكاديمي أنيس صايغ (نجا من محاولة اغتيال في بيروت، ١٩٧٩)، الشاعر أليكس عوده (اغتيل بتفجير قنبلة بالولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٨٥)، والمخرج والفنان جوليانو مير خميس مدير المسرح العربي (اغتيل في جنين عام ٢٠١١)، الكاتب والروائي باسل الأعرج (اغتيل سنة ٢٠١٧ في الضفة الغربية)، والصحافية

شيرين أبو عاقلة (اغتيلت في جنين سنة ٢٠٢٢). والقاسم المشترك في استهدافهم كان دفاعهم عن الهوية الثقافية الفلسطينية وتوثيقهم للنضال الشعبي.

وامتد القمع إلى الاعتقالات والحظر، حيث واجه الفنانون والمثقفون الفلسطينيون حملات رقابة شديدة واعتقالات تعسفية بتهمة التحريض، وإغلاق وملاحقات قضائية لمؤسسات ثقافية وفنية، ومنع فعاليات ثقافية، ومصادرة معدات، في محاولات مستمرة لإسكات الأصوات الفنية التي تحفظ الرواية الفلسطينية وتعرّي الاحتلال

> فعلى سبيل المثال، أُغلق مسرح الحكواتي في القدس أكثر من ٣٥ مرة منذ تأسيسه عام ١٩٨٤، كما منعت عروض مهرجان الدمى، وأغلقت المدرسة الموسيقية في سلوان عام ٢٠١٨، لإفراغ البنية الحيوية للثقافة الفلسطينية من مضمونها المؤثر

كذلك تعرضت المراكز الثقافية في العديد من المرات مثل معهد إدوارد سعيد للموسيقى، مركز يبوس، وشبكة الشفق الفنية، لمداهمات ومصادرة معدات وأوراق رسمية. وتمت مداهمة مكتبة "Educational Bookshop" في القدس مطلع عام ٢٠٢٥، ومصادرة نحو ٣٠٠ عنوان، واعتقال أصحابها. وفي السينما، حُظر فيلم "جنين، جنين" وأعمال مسرحية مثل "موتى بلا قبور" بحجج "التحريض على العنف".

كذلك كان السجن مصيراً للعديد من الفنانين والمفكرين مثل الشاعر سميح القاسم، الذي تعرض للاعتقال والتهديد المتكرر بالقتل، وأعضاء فرقة شموع القدس للفنون في القدس سنة ٢٠١١، والشاعرة دارين طاطور ٢٠١٥، والفنان ولاء سبيت ، خلال فعالية ثقافية في حيفا عام ٢٠٢١.

تُضاف إلى هذه الممارسات حملات مداهمة وإغلاق للجامعات (مثل جامعة بيزيت، التي أغلقت عدة مرات وتمت مصادرة مستندات وكتب تعليمية ومواد ثقافية منها)، ومنشآت ثقافية، وتأجيل او إلغاء مهرجانات أدبية وموسيقية بذريعة "الأمن"، مما يضيّق الخناق

على التعبير الفني والاجتماعي الفلسطيني. كما وثّقت منظمات حقوقية مدى سيطرة الاحتلال على المعارف المكتوبة، حيث مُنعت كتب و مجلات تُعنى بالثقافة الفلسطينية أو تناقش الصراع، واعتُبرت "تحريضية"، ضمن إجراءات أمنية ردعية طالت حتى المكتبات الأكاديمية في الضفة الغربية.

تهدف هذه الإجراءات المتسلسلة إلى إضعاف رواية الفلسطينيين، وتقويض قدرتهم على الحفاظ على هويتهم الثقافية. فهي لا توجّه ضد فرد أو مؤسسة بعينها، بل تسعى إلى تقويض البيئة الثقافية برمتها، في محاولات مدروسة لتفريغ المجال العام من أدوات التعبير والنقد المنبثقة من النضال الفلسطيني.

في مواجهة هذا الاستهداف، برزت المقاومة الثقافية كأداة استراتيجية لإعادة تثبيت الهوية وتحدي الإلغاء.

٤) المقاومة الثقافية الفلسطينية: إرادة لا تُقهَر

لطالما اعتبر الفلسطينيون نضالهم المتواصل ضد الاحتلال الإسرائيلي معركة وجودية تستهدف صون كينونتهم الوطنية والدفاع عن حقهم في التحرير. وعلى مدار أكثر من قرن، لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام المشروع الإلغائي الهادف إلى طمس هويتهم، بل طوّروا أدوات ثقافية مضادة ترسّخ روايتهم، وتُعيد تثبيت وجودهم، وتُواجه محاولات الإلغاء بالتجذّر والإبداع. وقد برعوا داخل الوطن وفي الشتات في تطوير أشكال متعددة من الصمود، تُبقي الرواية الفلسطينية حيّةً في الوجدان العربي والدولي، وتُفنّد الادعاءات الإسرائيلية الزائفة، وتُسهم في حشد التضامن العالمي

في مواجهة مشروع التهويد والاستيلاء المنهجي على التراث ومحو الذاكرة، تحوّلت الثقافة الفلسطينية إلى رافعة نضالية مركزية. ولم يكن التمسّك بالفعل الثقافي ترفًا ولا مجرّد دفاع عن ماضٍ مُهدَّد، بل ضرورة وجودية

واستراتيجية سياسية. فمن اللغة والمصطلحات المحفوظة ككنز وطني، إلى الأغاني الفولكلورية والأزياء والمأكولات المرتبطة بكل قرية ومدينة، تطوّرت رموز الحياة اليومية إلى أدوات مقاومة جماعية.

وقد لعب الأدب، والمسرح، والسينما، والفنون التشكيلية دورًا محوريًا في هذا الصراع، كما بيّنت الفقرات السابقة

> ولم تقتصر جهود المقاومة الثقافية على الحفظ والتوثيق، بل تجاوزتها إلى إطلاق مبادرات شعبية، وفعاليات فنية وثقافية، وبرامج تعليمية فلسطينية، نُفّذت في دول متعددة، لترسيخ الهوية ضمن الممارسات اليومية وأشكال التعبير الثقافي

أولا/ الأدب والفكر: مقاومة بالقلم والتأريخ

شكّل الأدب الفلسطيني رواية موازية للمأساة والصمود، حيث برزت أعمال لروائيين مثل إميل حبيبي، الذي عبّر عن المفارقة الفلسطينية في روايته الشهيرة "الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل"، وإبراهيم نصر الله في مشروعه "الملهاة الفلسطينية" الذي يؤرّخ لمحطات النكبة والنكسة والمقاومة. كما ساهم كتّاب مثل جبرا إبراهيم جبرا، وجمال ناجي، ووليد الشرفا، ضمن نخبة واسعة من الأدباء، في توظيف الأدب كأداة توثيق ومساءلة ورفض، ما جعل الرواية الفلسطينية رافدًا أساسيًا في نحت الوعي الجماعي، والدفاع عن الوجود في وجه النفي والطمس.

ولم تقتصر المقاومة الثقافية الفلسطينية على الفنون والذاكرة الشعبية، بل امتدّت خلال العقود الماضية إلى الحقول الفكرية والأكاديمية، حيث لعب مفكّرون ومؤرخون فلسطينيون دورًا حاسمًا في تفكيك الروايات الصهيونية، وتثبيت السردية الوطنية في الوعي العالمي.

برز من بينهم إدوارد سعيد، الذي شكّلت كتاباته مرجعية في نقد الاستشراق والاستعمار الثقافي، ورشيد الخالدي، الذي أعاد صياغة السرد التاريخي الفلسطيني انطلاقًا من أرشيفات دولية. كما أسهم كل من نور مصالحة، غادة الكرمي، وجوزيف مسعد والعديد غيرهم في كشف بنية الخطاب الاستعماري، وتحليل الهوية الفلسطينية في سياقاتها السياسية والاجتماعية والثقافية، ما جعل من إنتاجهم المعرفي امتدادًا نوعيًا للمقاومة، يُجابه التهميش بالإثبات، والنفي بالتأريخ.

ثانيا/ الموسيقى: صوت النضال الذي لا يسكت

> برزت الموسيقى كأهم أشكال المقاومة الثقافية الفلسطينية، إذ استخدم الفنانون الفلسطينيون أدواتهم الغنائية لتخليد رموز النضال وفضح الانتهاكات، فظهر جيل رائد تبِعه فنانون شباب حملوا هذا الدور إلى مراحل متقدمة

من بين أبرزهن دلال أبو آمنة وسناء موسى وريم بنّا، اللواتي عملن على إحياء الأغاني الشعبية الفلسطينية وقُدِّمَت برؤية معاصرة تحافظ على جوهرها. كذلك ساهم فنانون مثل محمد عساف وهدى عصفور وفرقة ٤٧ سول في إعادة تشكيل الأغنية الوطنية لتخاطب الجيل الفلسطيني الجديد بألحان حديثة وهوية راسخة، باتت تشكّل بوصلة موسيقية وطنية للأجيال الفلسطينية الشابة.

ويتجسد البعد النضالي في تكريم الشهداء والأبطال كرموز وطنية عبر الأغاني، كما في أغنية "من سجن عكّا" التي قدّمتها فرقة العاشقين في الثمانينات تخليدًا للشهيد عطا الزير ورفاقه الذين أُعدموا عام ١٩٣٠، على يد سلطات الانتداب البريطاني.

وقد رافق ذلك زخم فني واسع عبّرت عنه أعمال غنائية عديدة، من بينها "وصية شهيد"، "نجمة الصبح"، "يا ظريف الطول"، وغيرها، والتي شكّلت فضاءً صوتيًا لتخليد نضال الشهداء والمقاومين، وترسيخ حضورهم في الوعي الجمعي الفلسطيني. كما تحوّلت أغنية "عاشت فلسطين"، وهي أغنية احتجاجية من سبعينات القرن الماضي أدتها فرقة كوفية السويدية الفلسطينية إلى نشيد عالمي ضد الصهيونية والاستعمار.

ولم تقتصر المقاومة الموسيقية على الأغاني الثورية فحسب، بل امتدت لتشمل عناصر التراث الشعبي، التي تربط الحياة اليومية بالنضال. فالتْرويدة وهي أنشودة يُردّدها الفلاحون الفلسطينيون في الحقول، تحوّلت إلى صوت الأرض والهوية. والدبكة، وهي الرقصة الشعبية المعروفة في بلاد الشام والتي تؤدى في المناسبات والأعراس، أصبحت تُستخدم في المظاهرات والوقفات الشعبية كفعلٍ تحدٍّ واحتفالاً بالانتماء.

وبذلك، انتقلت هذه الممارسات الشعبية من إطارها الفلكلوري إلى موقع متقدّم في النضال، وجعلت من الفنون الشعبية أداة سياسية واجتماعية معًا.

ثالثًا/ المطبخ الفلسطيني: مقاومة بالأكل والزراعة

> لا تنفصل المأكولات الفلسطينية عن معركة الهوية والمقاومة الثقافية، لما تحمله من ارتباط عميق بالتراث الوطني الفلسطيني. فقد تحوّلت أطباق مثل المقلوبة والمسخّن والمفتول إلى رموز للمكان والانتماء، وتوارثتها الأجيال واحتضنتها موائد المنفى

وتعبّر على ذلك الناشطة المقدسية هنادي الحلواني، التي تُعدّ المقلوبة أسبوعياً برفقة نساء مقدسيات في محيط المسجد الأقصى كتعبير عن الصمود، رغم الملاحقات الإسرائيلية المستمرة.

وبالمثل، يُسهم طهاة مثل جودي القلا، وريم قسيس، ومبادرات مثل "الثقافة في طبق (Culture on a Plate)" و"جمعية الضيافة الفلسطينية (Palestine Hosting Society)"، في صون التراث الغذائي الفلسطيني، سواء عبر كتب الطهي أو الحصص التعليمية أو الفعاليات الجماعية في الشتات. إلى جانب انتشار لمطاعم تقدم الأكل الفلسطيني والشامي في

مدن مختلفة في العالم، وقد ضمنت هذه الجهود إبقاء المطبخ الفلسطيني حيا في الذاكرة العامة وراسخا في الهوية الثقافية.

وفي إطار تعزيز المقاومة الزراعية الفلسطينية، برز مشروع "المكتبة الفلسطينية للبذور البلدية" الذي أطلقته عالمة أنثروبولوجيا والفنانة فيفيان الصنصور عام ٢٠١٤. ويهدف المشروع إلى إنقاذ أصناف بذور فلسطينية مهددة بالانقراض مثل: بطيخ جنين، والخيار الأبيض، وتجديدها عبر "المطبخ المتنقل"، وهو منصة ثقافية تقدّم الطعام والقصص الشعبية، وتربط بين الزراعة والتراث والهوية والجغرافيا الأدبية الفلسطينية.

ويحضر التراث الزراعي كأحد أهم روافد المقاومة الثقافية الفلسطينية. وقد جسّدت العديد من الأعمال الفنية هذا الارتباط بالأرض بشكل حي، ومن أبرزها لوحات سليمان منصور، ونبيل عناني، وإسماعيل شموط، وزوجته تمام الأكحل.

ورغم أن أعمال هؤلاء الفنانين لم تقتصر على موضوعات الأرض والزراعة، فإنَّ هذه العناصر شكّلت محورًا أساسيًا في أبرز إبداعاتهم.

وتُعد شجرة الزيتون بما تحمله من دلالات على الثبات والجذور المتوارثة، أحد أبرز الرموز التي لا تزال تُزرع وتُعتنى بها رغم استهدافها المتكرر بالاقتلاع والمنع. وقد وثّقت في الأدب والسينما الفلسطينية، كما في قصيدة فدوى طوقان "الطوفان والشجرة" (١٩٦٧)، ورواية سحر خليفة "الصبّار" (١٩٧٦)، وفيلم "موسم الزيتون" لحنا إلياس (٢٠٠٣).

وفي السياق ذاته، تحوّلت برتقالة يافا، التي كانت يومًا رمزًا للازدهار الفلسطيني، إلى رمز للخسارة والحنين، كما تجلى ذلك في أعمال أدبية وفنية مثل "أم الغرباء" لسعاد أميري (٢٠٢٢)، و"برتقال من يافا" لنادين صايغ (٢٠٢٢)، والفيلم القصير "برتقالة من يافا" لمحمد المغني (٢٠٢٣).

تؤكّد هذه الممارسات جميعها أن الزراعة الفلسطينية ليست مجرد إنتاج غذائي أو اقتصادي، بل فعل انتماء ومقاومة، يُجسّد تشبّث الفلسطيني بأرضه، وصموده المتجذّر في تفاصيل الحياة اليومية والثقافة.

رابعا/ الأزياء التقليدية: تطريز الذاكرة

على التوازي، تمثّل الأزياء الفلسطينية التقليدية، الغنية بالتطريز والزخرفة، رمزًا للهوية والإرث الثقافي، وغالبًا ما تُرتدى في المناسبات العامة والأعراس. فالتطريز الفلسطيني، أو الطُرز، ليس مجرد فن زخرفي بل خريطة ناطقة بهوية كل قرية ومدينة. إذ ارتدت النساء الفلسطينيات أثوابًا تعكس جغرافيا مناطقهن وتاريخها، وتمسّكن بها رغم التهجير والشتات.

في هذا السياق، تبرز وداد قعوار، الباحثة الفلسطينية التي أُطلق عليها لقب "أم اللباس الفلسطيني"، والتي جمعت على مدار نحو ٦٠ عامًا أكثر من ثلاثة آلاف ثوب تقليدي من فلسطين والأردن وسوريا. وقد أسست متحف "بيت وداد قعوار للتراث" في عمّان، لتوثيق تطريز النساء الفلسطينيات وربطه بالمعرفة الإنسانية، كما في كتبها غرزة الفلاحي التقليدية (١٩٩٢)، خيوط الهوية (٢٠١٠).

كما أدّت مؤسسات مثل مركز التراث الفلسطيني في بيت لحم، ومؤسسة التراث الفلسطيني في نيوجيرسي (الولايات المتحدة)، دورًا محوريًا في صون الأزياء التقليدية الفلسطينية من خلال توثيقها، والتوعية بأهميتها التاريخية والثقافية، وتأكيد موقعها كعنصر فاعل في المقاومة الثقافية المستمرة.

ويستلهم مصممو الأزياء المعاصرون، مثل نورا خليفة ومحمد نور، من هذه التقاليد الغنية لتقديم تصاميم عصرية تُكرّم الهوية الثقافية الفلسطينية وتربط الماضي بالحاضر، مما يجعل هذا الفن أداة ثقافية متجددة وصامدة في وجه محاولات التهميش والسطو.

خامسا/ صون الذاكرة: مبادرات لحفظ التراث الفلسطيني

> يُعدّ حفظ التراث المادي والروحي أحد أبرز أشكال المقاومة الثقافية في وجه محاولات المحو والإلغاء. وقد كرّس جورج الأعمى، الباحث والمقتني من بيت لحم، جهوده لجمع مئات الوثائق النادرة، الأثواب التقليدية، والمقتنيات الدينية، في محاولة لاستعادة ملامح الهوية الفلسطينية المبعثرة

ويُستكمل هذا المسار بما قدّمه الطبيب والإثنوغرافي توفيق كنعان قبل نحو قرن، حين وثّق المعتقدات الشعبية الفلسطينية وجمع أكثر من ألف تميمة وقطعة فلكلورية، حافظًا بذلك على البعد الرمزي والثقافي العميق للحياة الفلسطينية.

كما ظهرت مبادرات فردية ومؤسسية في الداخل الفلسطيني والضفة الغربية، من أبرزها ما أنجزه فاروق واكد في الطيبة، الذي حوّل منزله إلى متحف يضم قطعًا تراثية نادرة تُوثّق تفاصيل الحياة اليومية. وسار على النهج ذاته ماهر شتيوي من البيرة، الذي أسّس متحفًا شعبيًا يضم آلاف المقتنيات من مختلف المدن. وتُضاف إلى ذلك جهود مؤسساتية نوعية مثل متحف التراث الفلسطيني في القدس وجنين، والتي تكرّس نفسها لحفظ الموروث الشعبي وإحيائه.

تتكامل هذه الجهود في حماية التراث الفلسطيني وتعزيز حضوره محليًا ودوليًا، مما يُسهم في ترسيخ الهوية الثقافية الفلسطينية وتثبيتها في الوعي العام. ومع تردّد صدى الرموز الصمود في أرجاء العالم، تتّسع جسور الربط بين النضال في الداخل والحراك الثقافي في الشتات، ما يسهم في تعزيز مناصرة الحقوق الفلسطينية ودفع مسيرتها التحررية بثبات إلى الأمام.

٥) الدعم العالمي والنشاط من أجل المقاومة الفلسطينية

شهدت العقود الأخيرة تطورًا ملحوظًا في المبادرات الثقافية والحقوقية الداعمة لفلسطين، إذ أسهمت حركات مثل طلاب من أجل العدالة في فلسطين (SJP)، وحملة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات (BDS)، وحملة التضامن مع فلسطين (PSC) في رسم ملامح هذا المشهد. فمن خلال رفع الوعي، وحشد الدعم الشعبي العالمي، والدعوة إلى الضغط السياسي والاقتصادي لصالح الحقوق الفلسطينية، نجحت هذه المبادرات، عبر شبكاتها الواسعة ونشاطها الشعبي في مناطق مختلفة بالعالم في التأثير بشكل ملموس في الرأي العام الدولي، وفرض حضورٍ متزايد للقضية الفلسطينية في المجال العام العالمي.

> في ظل الإبادة الجماعية المستمرة منذ قرابة العامين في غزة، برزت المقاومة الثقافية الفلسطينية كقوة فاعلة ومؤثرة، تستمد شرعيتها من عقودٍ من النضال والمعاناة. هذا الإرث المتجذّر، الذي نما في ظل الاحتلال، بات اليوم يُعلي من صوت الفلسطينيين في مختلف أنحاء العالم

فقد تحوّلت رموز مثل العلم الفلسطيني، وحنظلة، والكوفية (الوشاح التقليدي الفلسطيني ذو اللونين الأبيض والأسود)، والأثواب التقليدية المطرّزة، وحتى رمز البطيخة (التي ترمز لألوان العلم الفلسطيني بعد أن حظر الاحتلال رفعه في السابق) إلى أدوات بصرية مركزية في التظاهرات العالمية المؤيدة لفلسطين. عبر هذه الرموز، ومن خلال أعمال فنية ورقمية والجداريات والمجسمات واللافتات والفعاليات العامة، يجسّد الفلسطينيون وداعموهم واقع الاحتلال الوحشي، ويعيدون صياغة خطاب التضامن العالمي وكسب دعمه على أساس ثقافي وحقوقي وشعبي واسع. اليوم، ينضم إلى الفلسطينيين فنانون وناشطون ومفكرون عالميون من مختلف الخلفيات العرقية والسياسية. فقد أدان آلاف الفنانين حول العالم بشدّة، خاصةً بعد أكتوبر ٢٠٢٣، السياسات القمعية التي تمارسها إسرائيل، في ظل تزايد الاتهامات بجرائم الإبادة الجماعية والتطهير العرقي ضد الفلسطينيين في غزة والضفة الغربية.

إلى جانب تصاعد الحملات النشطة والدعوات الشعبية والفنية لإقصاء إسرائيل من الفعاليات والمهرجانات العالمية. كما يستخدم فنانون عالميون بارزون مثل روجر ووترز، وماكليمور، وأنجلينا جولي، وسوزان ساراندون، وسينثيا نيكسون، ومارك روفالو منصّاتهم وتواجدهم الرقمي وأنشطتهم لإعلاء صوت القضية الفلسطينية وفضح الجرائم الإسرائيلية، وللمطالبة بالعدالة والمسائلة القانونية. حتى بات فنانون عالميون يرددون أبيات من قصائد الشاعر الفلسطيني الشهيد رفعت العرعير (استشهد في غزة في كانون الأول ٢٠٢٣).

ومن بين الأصوات الشبابية الناشطة التي تصدّرت المشهد الإعلامي ظهرت غريتا ثونبرغ، وكانداس أوينز، روس ماكغان في دعواتهم المتكررة لوقف إطلاق النار وفك الحصار عن غزة. وقد شاركت غريتا مؤخراً، مع ناشطين آخرين، على متن قارب مادلين، ضمن تحالف أسطول الحرية، في محاولة رمزية لكسر الحصار الكامل المفروض على قطاع غزة.

في الوقت نفسه، تواصل منظمات دولية مثل الأمم المتحدة والعفو الدولية وهيومن رايتس ووتش توثيق الانتهاكات الإسرائيلية بحق المدنيين في غزة، وتقديم تقارير حقوقية موثقة، ساهمت في تصعيد الضغط الإعلامي والسياسي على المستوى الدولي.

أولا/ وسائل التواصل الاجتماعي والحراك الشعبي الشبابي العالمي

في السنوات الماضية، ولا سيما خلال العامين الماضيين، أعادت وسائل التواصل الاجتماعي تشكيل الخطاب العالمي حول فلسطين، خاصة في أوساط الشباب. فقد أسهمت هذه المنصات، في ظل تصاعد النشاط المؤيّد لفلسطين، في فضح زيف الرواية الإسرائيلية وتفكيك أدوات دعايتها، كما أتاحت توثيقًا حيًّا ومباشرًا للحرب على غزة أمام الجمهور العالمي. وتمكّن جيل جديد من الفلسطينيين في الشتات، إلى جانب حلفائهم من مختلف دول العالم، من إنتاج ونشر محتوى بصري وثقافي مؤثر، رغم محاولات الحجب والتقييد المتكررة من قبل المنصات الكبرى.

وقد ولّد هذا الزخم تحوّلًا ملموسًا في الرأي العام، كما أظهرت استطلاعات رأي متعدّدة في دول الغرب، إذ باتت فئة الشباب تُظهر دعمًا متزايدًا لفلسطين مقارنة بإسرائيل.

> وتجسّد هذه الموجة المتنامية من التضامن التي تشمل طيفًا واسعًا من الفاعلين، من بينهم يهود في الولايات المتحدة حالة غير مسبوقة من النشاط الشعبي المؤيّد لفلسطين في ظل الحرب الجارية

وترافق ذلك مع اتّساع النقاشات العامة حول ضرورة إنهاء الدعم غير المشروط لإسرائيل، وتبنّي مواقف أكثر اتّساقًا مع مبادئ العدالة وحقوق الإنسان.

وقد توازى هذا التحوّل في الوعي الرقمي مع موجة ميدانية من الحراك الشعبي، قادها طلاب الجامعات وناشطون في مختلف أنحاء العالم. فمنذ بدء الحرب الحالية على غزة أواخر ٢٠٢٣، أطلق هؤلاء موجة متصاعدة من الحراك المدني عبّرت عن رفض واسع وحاسم لجرائم الاحتلال الإسرائيلي.

شملت هذه التحركات اعتصامات داخل الحرم الجامعي في العديد من الجامعات الأمريكية والأوروبية، خاصة في عام ٢٠٢٤، وتنظيم مخيمات توعوية، وورش عمل سياسية وحقوقية، دعماً لغزة ورفضًا للتمويل الأكاديمي الإسرائيلي. كما امتد نشاطهم لما هو أبعد من الجامعات، عبر تنسيق آلاف المظاهرات والمسيرات حول العالم، فضلًا عن تعطيل فعاليات رسمية سياسية وتجارية، وتنظيم احتجاجات داخل المتاجر ضد الشركات الداعمة للاحتلال، وإشغال المساحات العامة.

وقد أدّى هذا الحراك المتسع إلى تصعيد المطالب بفرض العقوبات، وسحب الاستثمارات، ووقف الدعم السياسي والعسكري لإسرائيل، مما زاد من الضغط الشعبي على الحكومات وصنّاع القرار.

٦) خاتمة

تجسّد المقاومة الثقافية الفلسطينية حالة متقدّمة من الصمود المتجذّر، والاستراتيجيات المبتكرة، والتضامن الثابت والمتّسق في مواجهة الاحتلال. فمن بدايات الاحتجاج الأولى قبل أكثر من مئة عام وصولًا إلى حراك الناشطين في العصر الرقمي اليوم، وظّف الفلسطينيون تراثهم وأدواتهم الثقافية للمواجهة وتحدي الظلم، وللحفاظ على هويتهم، وفضح انتهاكات الاحتلال، والدفاع عن عدالة قضيتهم.

ومع تصاعد الحضور الرقمي والتعبئة الشعبية العابرة للحدود، تدخل هذه المقاومة طورًا جديدًا من التأثير العالمي، لا يكتفي بتحدي الروايات الصهيونية المهيمنة، بل يوسّع دوائر التأييد، ويعيد رسم ملامح التضامن الدولي. وهكذا، تبرز التجربة الفلسطينية كمنظومة نضالية تُلهِم حركات التحرّر في العالم، وتؤكّد أن الثقافة ليست مجرّد انعكاس للواقع، بل أداة فاعلة لتغييره.

لكن، وعلى الرغم من هذا الزخم، تبقى الجهود الفلسطينية الثقافية موزّعة على مبادرات فردية أو جغرافية متناثرة، ما يحدّ من قدرتها على مراكمة الأثر وتوحيد الصوت.

> ومن هنا، تبرز الحاجة الملحّة إلى تطوير مشروع ثقافي وطني جامع، ينسّق الجهود ويشكّل جبهة متماسكة في مواجهة الاحتلال، خاصة في ظل امتلاك المشروع الصهيوني لمنظومات إعلامية وثقافية موحّدة وفعّالة، تعمل على تزوير الحقائق وتكريس الاستعمار

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

www.ar.grc.net

Gulf Research Center Jeddah (Main office)

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Foundation Geneva

Avenue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
Email: info@grc.net

Gulf Research Centre Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center Foundation Brussels

Avenue de
Cortenbergh 89
4th floor, 1000
Brussels
Belgium

www.grc.net

25 YEARS
since 2000
Gulf Research Center
Knowledge for All